الوسطية وأثرها في مواجهة الجماعات المتطرفة "ليبيا وتحديات الاختلاف المنهجي والمذهبي"

THE IMPACT OF MODERATE THINKING ON CONFRONTING SECTARIANISM AND EXTREMISM: LIBYA AND THE CHALLENGES OF CONFLICTING IDEOLOGIES AND METHODOLOGIES

Dr. Salem Faraj RAHEEL الدكتور: سالم فرج رحيل
University of Tripoli - IBYA جامعة طرابلس – ليبيا
salemfaraj1971@gmail.com

Received*:** استلم: ***Accepted: قُبل للنشر:

ملخص:

تناقش هذه الورقة المنهج الوسطي الذي يجب على المسلمين جميعاً سلوكه، وهو الذي يمثل الإسلام حقيقة، كما تناقش أيضاً نشأة الجماعات الإسلامية في ليبيا كجماعة الإخوان المسلمين والسلفيين، وأنصار الشريعة وغيرهم، الذين أثروا على الساحة الليبية بعد ثورة 17 فبراير، وميل بعض هذه الجماعات للعنف كطريق لتحقيق أهدافها، كما نسعى من خلال هذه الدراسة إلى تعرية منهج العنف والتطرف عند بعض الجماعات الإسلامية وبيان انحرافها عن منهج الإسلام المعتدل، وبيان أن الوسطية والحفاظ على الأمن والسلام في العالم كان غايةً سامية من مقاصد الشريعة الإسلامية، وأن هذا المقصد واضح جليٌّ في نصوص الكتاب والسنة وهو المنهج القويم الذي ينبغي للمسلمين جميعاً سلوكه في مشارق الأرض ومغاربها، كما حاولنا تقديم حلٍّ للمشاكل التي تعاني منها الجماعات الإسلامية في ليبيا، وكيف الرجوع بمن انحرف منها إلى جادة الصواب، ولم تتعرض الدراسة إلى نقاش المسائل الفقهية، متأملين أن يكون ذلك في البحوث المستقبلية، فاتحين المجال للكتاب والباحثين لنقاش مثل هذه المسائل الحساسة.

Scintific editor: Univ. of ORAN1 ***Corresp. author: salemfaraj1971@gmail.com***

الكلمات المفتاحية: الإسلام؛ الوسطية؛ الجماعات الإسلامية (الإخوان؛ السلفيون؛ أنصار الشريعة؛ تنظيم الدولة)؛ مقاصد الشريعة؛ الأمن.

Abstract:

This paper discusses the Islamic moderate thinking which must be method of every Muslim, and also discusses the most important ideologies and ideas of the Islamic groups such as the Muslim Brotherhood, Salafism, Ansar al-Shari'a, and others, which have recently emerged in Libya and which has influenced the course of events in it after 17 February, 2011, The study further examines the religious influences which have nourished this conflict with the view of fostering closer relationships between the leaders, taking into consideration that their points of departure are all the same, namely, the Qur'an and Prophetic Sunnah. The study does so, without discussing in great detail the jurisprudential arguments of each group, which is hoped will be the next step for future research papers in order to open up this field to researchers and interested parties in researching this phenomenon.

Key words : *Islam; Moderation; Islamic groups (Muslim Brotherhood; Salafis; Ansar al-Shari`a; ISIL) Purposes of Shari'a; security.*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعلمين، سيدنا محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي؛ عليه وعلى آل بيته وأصحابه أفضل الصلوات وأتم التسليم .

أما بعد:

تظهر بين الحين والآخر دعاوى باطلة ترمي هذا الدين بما ليس فيه، وتتهمه زورا وبهتانا بأنه دين عنف وإرهاب، ويستغل دعاة التشويه الذين سلكوا طريقا معوجا للافتراء على الإسلام والمسلمين نصوصاً من الكتاب والسنَّة حملوها ما لا تحتمل ووضعوها في غير موضعها، متصيدين أخطاءً لبعض الجهلة من المسلمين، فزعموا- افتراء وباطلاً- أنَّ هذا هو الإسلام.

ولا شكَّ أن هذا الزعم باطلٌ لا أساس له، ولا دليل عليه، وإذا كنَّا نلوم أهل الإفك على رميهم لدين الإسلام بما ليس فيه، وإن كنا نعدُّ عليهم أيضا؛ تهجمهم واعتداءهم على سماحة الإسلام وتلبيسهم الحق بالباطل، فلا شكَّ أن اللوم الأكبر يقع علينا نحن المسلمين، حيث أنَّ طوائف منَّا قد أعطت الذريعة لأعداء الإسلام للنيل منه، وكان خنجر المسلمين في صدورهم أشد وأمضى من جنجر أعدائهم، فما نال الإسلام ظلمٌ أشد وأنكى من ظلم أهله، كيف لا يكون الأمر كذلك؟ وبلاد الإسلام اليوم تعاني الحروب الطاحنة من الداخل والخارج، كيف لا يكون الأمر كذلك؟ والشقاق والنزاع بين الجماعات الإسلامية المختلفة قد صار السمة البارزة في تعامل المسلمين مع بعضهم البعض، وإذا كنا سنتناول بالحديث تأثير المنهج الوسطي على نزاع الجماعات الإسلامية المعاصرة اليوم، ونظراً لأن هذه الصراعات "قديمة حديثة" وهذا الموضوع يحتاج إلى مؤلفات ضخمة ومقالات كثيرة لسبر أغواره والإحاطة بكل جوانبه، فقد اخترنا أن نسلط الضوء على الصراع الحديث القائم بين أهل السنة بعضهم مع بعض، وليكون البحث أكثر تحديداً وتركيزاً، فإننا سنخصص الدراسة حول الصراع القائم بين الجماعات السنية المختلفة في ليبيا، وسنجعل الوسطية- أو المنهج الوسطي- هو المعيار أو الحكم في هذا الصراع، بمعنى: أننا سنناقش مناهج أبرز الجماعات المغذية للصراع في ليبيا، وسنقف على بعض الشبهات التي جعلت الساحة الليبية اليوم مرتعاً للانفلات الأمني والاقتتال والاحتراب بين هذه الجماعات السنية، وما هو المخرج الحقيقي لهذه الفتن التي نشبت في تاريخنا المعاصر ليس في ليبيا فحسب بل في بقاع شتى من بلاد المسلمين اليوم، ومن هنا يمكن أن نلج إلى مشكلة البحث التي يمكن تلخيصها في الآتي:

مشكلة البحث:

نشأ الصراع في ليبيا بعد 17 فبراير 2011 وكانت بدايته قتال بين النظام والمعارضين له، وبعد سقوط النظام برزت التوجهات الفكرية المتطرفة، وظهرت توجهات يدعو بعضها إلى التكفير والهجر، ويدعو بعضها الآخر إلى قتال المخالف وإن لم يقم عليه حكم الكفر، وماجت وهاجت الفتن بين عدد من الجماعات ذات التوجهات الدينية المعلنة والخفية، ومن هذه الجماعات: أنصار الشريعة، والسلفيون، والإخوانيون، والمقاتلة، وغيرهم، وكما هو معلوم فإن ليبيا أهل سنة في عمومهم، والمذهب الفقهي الغالب على أهلها هو المذهب المالكي، فكيف نشأ هذه الصراع؟ وهل تنطلق هذه الجماعات حقًّا من منطلقات سنية في نزاعها مع من خالفها؟ ومن المنظرون لهذا الجماعات؟ وأين موقع هذه الجماعات من المنهج الوسطي المعتدل؟ هذه وغيرها من الأسئلة، يمكن أن نجيب عنها في هذه الورقات التي ستكون مدار بحثنا في العناوين التي اخترناها في هذه الدراسة كما يلي:

أهداف البحث:

1- تسليط الضوء على الصراع القائم في ليبيا بين الجماعات الإسلامية المختلفة .

2- معرفة الأسباب الحقيقية التي حادت بهذه الجماعات عن منهج الاعتدال والوسطية .

3- بيان أن المخرج الأمثل لهذا الصراع هو بالرجوع إلى المنهج الوسطي .

خطة البحث:

يمكن حصر خطة البحث في النقاط الآتية:

المبحث الأول: الوسطية في الإسلام .

- المطلب الأول: تعريف الوسطية وأنواعها .
- المطلب الثاني: الوسطية حاجة معاصرة ومطلب إنساني .
- المطلب الثالث: التأثير الإيجابي للوسطية في المجتمعات الإسلامية .

المبحث الثاني: الصراع الليبي الأسباب والنتائج .

- المطلب الأول : الجماعات الليبية المختلفة ذات التوجه الإسلامي .
- المطلب الثاني: عرض موضوعي لبدايات النزاع والشقاق:

المبحث الثالث: المبحث الثالث: الرجوع إلى المنهج الوسطي

- المطلب الأول: ثوابت تجب مراعاتها .

- المطلب الثاني: رأي الشَّرع في بعض شبه المتعصبين لتبرير العنف .
- المطلب الثالث: الحلول من رحم الأزمة .

الخاتمة .

التوصيات.

المبحث الأول: الوسطية في الإسلام

إن الوسطية أصل في دين الإسلام، وقد ارتضى الله عز وجل لهذه الأمة أن تكون وسطاً، شاهدة على الأمم، وخصها بشرع تامٍّ حكيم، ورسول كريم جعله خاتم النبيين وإمام المرسلين، وذكر سبحانه أنَّ من نعم الله على هذه الأمة أن خصها بهذا الشرف، حيث قال سبحانه: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [آل عمران /164]، وذكر سبحانه أن هذا التشريف وهذا التكريم منوط بتحمل هذه الأمة لأعباء الرسالة وهموم الدعوة، فقال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران /110].

ووعدهم بعد ذلك لو قاموا بهذا الحق أن يكرمهم بالسعادة في الدارين فقال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل/97]. و لذلك فإن سرَّ التكريم في هذه الأمة نابع في الأساس من تمسكها بهذا الدين كما هو؛ من غير تحريفٍ ولا تبديل، ومن دون إفراط ولا تفريط وهذا هو سرُّ تماسك هذا الدين واستمراره ونضجه واحتوائه للحياة الماديَّة بكل صنوفها، فدين الإسلام ليس ديناً جامداً ساكناً لا حياة فيه ولا تجدد، بل هو دين متجدد قد حوى الأزمنة والأمكنة بسعته وشموله، واستوعب الحياة بتقلباتها وتطورها، فلم تستجد في الناس حوادث، ولم تطرأ عليهم مخترعات وبدائع، إلا وفي الإسلام ما يحتويها ويرعاها، ويهذب قوامها ويحسِّن مسارها، ويوجهها لما فيه سعادة البشرية.

المطلب الأول: تعريف الوسطية وأنواعها.

وسط الشيء في اللغة جوهره ولبابه، ويقال للوسط من كل شيء كبده، كما يقال للشمس إذا توسطت السماء، "الشمس في كبد السماء" [1]، ووسط الشيء ما بين طرفيه[2] .

ومصطلح "الوسطية" عرف عند علماء اللغة والتفسير بدلالته على معنى العدل والاعتدال في كل شيء، قال الزبيدي: "الوسط من كل شيء أعدله"[3]، وقال البيضاوي: " الوسط من كل أمر المتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط"[4]، ويعبر عنه "بالوسط" إذا أضيف إلى اسم كـ "الطريق الوسط" و "الأمة الوسط" .

ويعبر عنه بـ"الوسطية" كعلم ومنهج وطريقة، ويمكن أن يعبر بأحدهما- أي الوسط أو الوسطية- عن الآخر، واستعمل الشارع الوسطية للدلالة على العدل والخيرية والأفضلية، ولهذا يمكن أن نستخلص أنواعا للوسطية بحسب رتبتها ومكانتها وتوقيتها ومكانها على النحو الآتي:

أنواع الوسطية:

للوهلة الأولى عند استعمالنا للـ"الوسطية" كمصطلح نعتقد أنها بمعنىً واحد في كل شيءٍ، أما إذا أمعنا النظر والتأمل في مصدر هذا المصطلح نجد أنه يحتمل العديد من التفسيرات والتأويلات التي تنحصر في تأويلين: "الوسطية الحسيَّة، الوسطية المعنوية" وهاذين الفرعين للوسطية أكبر من أن نحصرهما بين ثنايا هذه الورقة البحثية، بل لا نبالغ إذا قلنا أن مجلدات ضخمة لا يمكن أن تلم بهذا المعنى بجميع صوره وإطلاقاته، ولعلنا نقف على بعض الأنواع المهمة للوسطية بمفهومها العام والخاص في هاذين النوعين:

أولاً: الوسطية الحسِّيـَّة:

هي تلك الوسطية التي تكون في الأمور المحسوسة كوسطية الزمان والمكان والألوان وغيرها، ويمكن أن نتكلم على بعضها فيما يأتي:

---

(1) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . وآخرين، 772/2 .

(2) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، 426/4 .

(3) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، 167/2 .

(4) تفسير البيضاوي: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، البيضاوي، ، 16/2 .

●الوسطية المكانية: (التوسط المكاني) يطلق على المتوسط بين مكانين أو أكثر، وهذه الوسطية تعطي المكان ميزية بحيث يكون أقرب هذه الأمكنة من غيره، كالجار الوسط الذي يلاسق بيته بكلا الجارين، فهو أقرب لكلا الجارين من الآخر، وكذا البلد الذي يتوسط بين بلدين، وهكذا ....، ولا يخفى أنَّ قدرة المتوسط المكاني على الإفادة والاستفادة أكبر من الذي لا يتحلَّى بهذه الخاصية.

●الوسطية الزمانية: (التوسط الزماني) هو الزمن الذي يحد طولا وقصرا بين زمانين أو أزمنة متعددة، وهذا أيضا يعطي الزمان الوسط مزية، كساعات الفجر الأولى التي تتوسط بين الليل والنهار، وآخر النهار الذي يكون مقدمة لليل، وقد جاء في السنة ما يؤكد أن بعض الأزمنة لها أفضلية على الأخرى، كما أخبر عليه الصلاة والسلام أن : "من صلى البردين دخل الجنة"[1] والبردان هما صلاة الفجر وصلاة العصر"، ويكون الزمن المعتدل والمتوسط أفضل من التبكير المضني المتعب، والتاخير المخل المفسد، كما لو حضر الموظف قبل حضور الموظفين جميعا، فهذا فيه من الإرهاق والعنت ما فيه، بخلاف لو حضر متأخرا عن موعد عمله يكون فيه إضرار وفساد، وأفضل وقت للحضور يكون في الموعد المحدد للعمل .

●وسطية الألوان: جبلت النفس البشرية على النفور من الألوان القاتمة، وكذلك ما كان شديد الانفتاح، فالظلام الشديد قترةٌ وظلمة، والسطوع الشديد مُثلةٌ وبرص، وخير الألوان ما كان وسطا بين الألوان زاهيا ببياضه ولمعانه، راسخا بوضوحه وظلاله، ولهذا قال محمد بن بشير يصف جمال امرأة، فيشبه جمالها بلمعان القمر المتوسط في ليلة الصيف المبردة:

بيضاء خالصة البياض كأنها ** قمر توسط ليل صيف مُبْرِد[2].

ثانياً: الوسطية المعنوية:

الوسطية المعنوية تكون في غير المحسوسات، كالعقائد، والأخلاق، والمعاملات وغيرها، ويمكن أن نضرب بعض الأمثلة للوسطية المعنوية بما يلي:

العقيدة الوسطية: هي تلك العقيدة التي تتوسط بين العقيدة الوثنية وعقيدة الإلحاد، "الوثنية" التطرف في جانب التعبد للبشر والحجر والشجر، و "الإلحاد" التطرف في إنكار الألوهية وعدم الإيمان بالخالق، والعقيدة الوسطية لا تتحقق

(1) متفق عليه، صحيح البخاري/574، صحيح مسلم/635 .
(2) الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، 118/11 .

إلا في الإسلام، الذي يؤمن أتباعه بإله واحد ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام /103].

●وسطية الأخلاق: نعني بها التعامل المنضبط مع الآخرين شعورا وسلوكا وعملا، وإن كانت هذه المعاملات قد تُحَسُّ في الواقع إلا أن المحرك لها هو الضمير الإنساني، الذي عبر عنه النبي- صلى الله عليه وسلم- بقوله: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[(1)] .

وهذه الأعمال القلبية يُعبَّر عنها بالإخلاص، أو الحب أو الكراهية، أوغلظة القلب ورقته، وغيرها ... لكي تكون صحيحة مؤدية للغرض المطلوب في التعامل مع الآخرين لابد لها من التقيد بضابط الوسطية، ولهذا جاء في الحديث عن ضابط المحبة: "أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبيك يوماً ما"[(2)]، وفي التعامل بين الناس وسطا بين الشدة واللين رُوِي عن علي- رضي الله عنه- "لا تكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر" ، ونقل عن لقمان قوله لابنه : "يا بني لا تكن حلواً فتُبلع ولا مرّاً فتُلفظ" [(3)] .

المطلب الثاني: الوسطية حاجة معاصرة ومطلب إنساني

لقد مثلت الوسطية ومنذ اللحظات الأولى للخليقة مطلبا ملحّاً وحاجةً إنسانيةً لا غنى عنها، بل إن أول معصيَّة عُصي الله تعالى بها على الأرض وبعد هبوط أبينا آدم من الجنَّة، كانت بخرق مبدئ الوسطيَّة في التعايش بين الإخوة، فقد قتل قابيلُ أخاه هابيلاً اعتراضاً على تفضيله عليه، وهو ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿**إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة/27]، فقد غضب قابيل على أخيه هابيل وحسده لقبول قربانه دونه[(4)]، فلم يكن التعامل من قابيل مع أخيه قائم على أساس التَّعقُّل والقِسط، بل كان بدافع الحسد

(1) متفق عليه، صحيح البخاري/52، صحيح مسلم/1599 .

(2) سنن الترمذي/1997 ، قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا ورواه الحسن بن أبي جعفر ،وهو حديث ضعيف أيضا بإسناد له عن النبي صلى الله عليه و سلم والصحيح عن علي موقوف، . وقد صححه الألباني: أنظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، 18/1، رقم /187 .

(3) فيض القدير، المناوي،، 336/6 .

(4) نفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 85/2 .

والغيرة، ولو فطن قابيل لما قاله هابيل "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" لأصلح من شأنه، لأن التصرف المنطقي والطبيعي أن يغير قابيل من نيته وسلوكه، فيصير في قائمة المتقين حتى يتقبل منه، ولكن بدلاً من ذلك فقد ذهب إلى الجانب الخطأ، والسلوك المتطرف، وعمد إلى مخالفة المنهج الوسط والمعتدل، فماذا فعل؟ قتل أخاه !!. وقتله هذا كان نتاج الغيرة والحسد الغير منضبطين بميزان التعقل، ويمكن أن نستخلص من الاتجاه الذي سلكه قابيل مخالفاً به منهج الفطرة السليمة، عدة نقاط تكون مقياساً للمنهج المطلوب في الحياة الإنسانية، وذلك فيما يلي:

1- الكل يعمل في هذه الحياة ليحصل مبتغاه فلا قوام للحياة من دون العمل .
2- العمل الدنيوي لا يتعارض مع العمل للدار الآخرة .
3- العمل الدنيوي مكمل لعمل الآخرة .
4- لكي ينجح العمل الدنيوي يجب أن يكون صواباً .
5- لنجاح العمل الأخروي لابد أن يكون صواباً خالصاً لله تعالى .

وهذه المقومات الخمس قد أشارت الآية إليها بوضوح، وفي حقيقة الأمر فقد مثَّل هابيل المنهج الوسط المتمثل في النقاط الخمس السابقة، أمَّا أخوه قابيل فقد سلك الطريق المنحرف ولم يجمع ما بين هذه العوامل فلم يتقبل منه، وبدلاً من أن يسير في الطريق المعتدل ويصلح ما أخطأ فيه رأيناه يتطرَّف في مسلكه، ولذلك ختمت القصَّة بقوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾ [المائدة/31 .] .

من هنا نرى أنَّ الوسطيَّة مطلب في نجاح العمل، والتطرف سبب في سوء المآلات، وهذا التصور ينسحب على كل شيء، فلو اعتكف إنسان في المسجد يتعبد اليل مع النهار، وترك العمل الذي يكسب منه القوت فإنه سيصاب بالعوز والفاقة، ولو انكبَّ على العمل الدنيوي وبالغ في طلب المال وتحصيله دون اكتراث لأمر دينه فهو مضيعٌ نفسه بهلاكها في الآخرة، ولهذا قيل : "إن جميل العيش هو بالأخذ بالحسنة بين السيئتين" وهذا مستنبط من قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾ [الإسراء/29]. .

المطلب الثالث: التأثير الإيجابي للوسطية في المجتمعات الإسلامية .

لقد سعدت المجتمعات الإسلامية في القرون الأولى الفاضلة في ظل الإسلام، وكذلك في عصر النهضة في القرون الوسطى حيث كانت الحضارة الإسلامية مجمع الحضارات، ولم يكن هذا إلا بوعي المسلمين وفهمهم العميق للإسلام

الصحيح، فكيف تجذَّر هذا الفهم لسماحة الإسلام؟ وما هو المنهج الوسطي الذي كانوا عليه حتى حققوا هذا النجاح الباهر في ذلك الزمان؟ .

يمكن أن نسرد بعض الأمثلة من قائمة طويلة تضرب أروع الأمثلة في عقلانيَّة هذا الدين واتساقه مع الحياة المدنيَّة، واستيعابه للحاجات الإنسانية، وهذه الخاصيَّة- التي يمكن أن نعبِّر عنها بـ"الوسطيَّة" - هي التي بلغت بهذا الدين شأناً عظيماً وأعطته مكانة عاليةً رفيعةً شهد بها الأعداء قبل الأصحاب، وسأكتفي بذكر بعض الأمثلة مع إشارات بسيطة حتى لا يطول بنا الحديث، ومن هذه الأمثلة ما يأتي:

- في الفرح وإظهار البهجة: عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث قالت وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا"[1] .

نلاحظ في هذا الحديث الفسحة في الإسلام وأنه ليس دينا جامداً بل فيه المرح والسرور والترفيه عن النَّفس بأنواع المباحات، وأنّه دينٌ يتفهم الطبيعة البشريَّة التي تحتاج إلى إدخال السرور على النفس، وعدم التضييق على الأهل، وإشاعة الفرح بينهم كل ما سنحت الفرصة لذلك.

- في الرفق ولين الجانب: حديث الأعرابي الذي بال في المسجد، فعن أبي هريرة قال قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"[2] .

هذا الحديث مدرسة في الأخلاق والرفق، والطب والتربية، ويمكن أن نستخلص فوائد لا حصر لها في هذا الحديث، الذي يعتبر تطبيقاً عمليًّا لسماحة هذا الدين ووسطيَّته، وتفهمه لأحوال الناس ومراعاة طبائعهم وأحوالهم، ولو فُهِم هذا الحديث كما ينبغي لاستخلصنا منه دروسًا كثيرةً في تربية المجتمعات على الرفق وحسن التعامل مع الجاهل وصاحب الحاجة والضعيف والمسكين، ويكفينا قول النبي- صلى الله عليه وسلم- في آخر الحديث: "إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" .

---

(1) صحيح البخاري /952 .

(2) صحيح البخاري /220 .

● في الاختلاف وآدابه حديث صلاة العصر والأمر بصلاتها في بني قريضة، فعن ابن عمر– رضي الله عنهما– قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لنا لما رجع من الأحزاب لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم"[1] .

● بيان أن كمال الدين في عدم الإشقاق على النفس... حديث النفر الذين تعاهدوا على ترك بعض المباحات طلباً للأجر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إليهم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[2].

وهذا الحديث أصل في بيان أن التدين الحقيقي، والتقوى بمفهومها العام والخاص بالجمع بين مصالح الدنيا والآخرة، وأنه لا رهبانية في الإسلام، حيث أوضح لهم– أعلم الخلق بالله وأتقى عباده له– الرسول– صلى الله عليه وسلم– أنَّ التقوى الحقيقية هي التقوى المنضبطة بمراعاة بشريَّة الإنسان، وعدم التَّكلف لما لم يحملنا الله به، وهذا المعنى يتجلَّى بوضوح في قول الله تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص /77] .

● قوله عليه الصلاة والسلام "يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام"[3]، وهذا من أعظم الأدلة على وسطيَّة هذا الدين وكماله، حيث نرى اتساقه مع الطبيعة البشريَّة التي جبلت على حب التواصل والتآلف، والسلم والتلطف، فهو يحث على إطلاق السلام على الناس، ولاحظ الخطاب بقوله: "أيها الناس" وهذا عام لكل الأمة، ثم نأتي لجزئيَّة، (إطعام الطعام) والنفس البشرية جبلت على حفظ الجميل للغير، وقد

(1) صحيح البخاري /946 .
(2) متفق عليه، صحيح البخاري/5063، صحيح سلم/1401 .
(3) سنن ابن ماجه، محمد القزويني/ 3251 .

ركز الحديث على الضروريات- وهو الطعام- ليبين أنَّ كل إحسان مطلوب في هذا العالم الذي نعيش فيه جميعاً، (المسلمون وغيرهم) ... إلى آخر ما جاء من الحث على مكارم الأخلاق.

إن قوائم كثيرة من الأمثلة التي توضح أنَّ هذا الدين يتفق مع الطبيعة الإنسانية، ويراعي الاحتياجات الضروريَّة والتحسينية للبشر جميعا، وبهذا نرى أن المجتمع المسلم قد تربَّى على هذه العقليَّة، فصار المفهوم العام للإسلام ينبني على قواعد مخصوصة، وفي حقيقته دعوة للفضائل ومكارم الأخلاق والإحسان إلى الآخرين، ومن هنا نجد هذا التأثر ينتقل إلى المجتمع المسلم الذي تعايش مع هذه الأمثلة، ويمكن أن نصور ذلك في الطرح الآتي:

تأثر الوسط الإسلامي بهذا المنهج المعتدل:

لقد كان الرعيل الأول من هذه الأمة – الصحابة رضوان الله عليهم- أوَّل المتأثرين بهذا المنهج الوسطي، وقد عرف النبي- صلى الله عليه وسلم- هذا في أصحابه، وحفظه لهم، لذلك زكاهم قائلاً: " ... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ"[1]، لأنَّ سياستهم الحكيمة كانت نبراساً للأمة به يهتدون، فقد نهلوا من النبع الصافي، وتربوا على المنهج القويم، ولعلَّنا نذكر شيئاً ممَّا زرعوه في الأمة من خيرٍ سبغ ظلاله ليس على المسلمين فحسب، بل على البشريَّة جمعاء، ولم يكن حرثهم ظاهراً في أبواب الدين فحسب، بل تفرعت أغصانه لتشمل صنوفاً من الأدب الفكري، والاجتماعي والسياسي، والاقتصادي، وسنقتصر على ذكر الأمثلة بعناوين وإشارات دون شرح حتى لا يطول بنا الحديث، ومن هذه الأمثلة ما يلي:

- **التكافل الاجتماعي، والعطف على المحتاج ومواساة الضعيف:** أنَّ عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيستقي لها ويقوم بأمرها فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت . فجاءها غير مرة كلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة . فقال عمر : أنت هو لعمري![2] .
- **حقوق الإنسان والعدل في السياسة وإنصاف الرعية ومحاسبة الولاة:** عن أنس : "أن رجلا من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم فقال عذت معاذا قال سابقت ابن عمرو بن العاصى

(1)(1) سنن الترمذي، محمد بن عيسى / 2676 .
(2) أسد الغابة لابن الأثير، 647/1 .

فسبقته فجعل يضربنى بالسوط ويقول أنا ابن الأكرمين فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه فقدم فقال عمر أين المصرى خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر اضرب ابن الأكرمين قال أنس فضربه فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع السوط على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين! إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: "**مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟** قال: يا أمير المؤمنين! لم أعلم ولم يأتني"[1].

المبحث الثاني: الصراع الليبي الأسباب والنتائج :

لقد شكلت الجماعات الإسلامية المتصارعة في زماننا اليوم عبئاً ثقيلاً على العلماء المسلمين، حيث تزاحمت الأيدلوجيات والأفكار، وكل يدعي أنه على المنهج الصحيح، وكل فرقة تسمي نفسها الفرقة الناجية !؛ والصراع الليبي بعد 17 فبراير 2011 كان نتاجاً لتصارع هذه الأيدلوجيات والأفكار، ولم يكن الصراع في ليبيا فحسب، بل في بقاع كثيرة من عالمنا الإسلامي اليوم، لكن الذي زاد من حيرت المفكرين والباحثين في المذاهب الإسلاميَّة أن؛ شكل الصراع في ليبيا أخذ منحاً خطيراً، وتجاذبته عدة، ووصل الذروةَ من الكراهية والعنف، ويمكن أن نقول إنَّ حدته تجاوزت كل الخطوط، حتى أننا رأينا أمثلة من الاقتتال والاحتراب بين جماعات وأحزاب لم نعرف لها مثيلاً إلا في العصر الجاهلي – قبل الإسلام– حيث كانت الحروب بين القبائل لأتفه الأسباب، بل إن فظاعات مروعة حصلت في هذا القطر المسلم كان الجاهليون يترفعون عنها، وينأون بأنفسهم عن الانحطاط إلى دركها، وممَّا زاد من حيرة المفكرين الإسلاميين أن الجماعات المتصارعة فيما بينها تنتمي في عمومها إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فكيف وصلوا إلى هذا الحد من العنف؟ وما هي العوامل الرئيسيَّة التي عصفت بكل معالم الأخوة والمحبة التي يتصف بها المسلم الحق؟

لعلنا نقف على بعض الأسباب التي أوصلت إلى هذه المآلات الكارثيَّة من خلال الطرح الآتي، سائلين الله عزَّ وجلَّ أن يلهم إخواننا رشدهم، وأن يردهم إلى جادة الصواب.

(1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، البرهان فوري، 12 /661 .

المطلب الأول: الجماعات الليبية المختلفة ذات التوجه الإسلامي:

إنَّ نشأة الجماعات الإسلامية في ليبيا ترجع بالأساس إلى العهد الأول من التاريخ الإسلامي الذي عَرف تناميًا مضطردًا للجماعات والفِرق مع ظهور الفتنة الكبرى بمقتل عثمان- رضي الله عنه-، وتأثرت هذه الجماعات بمجرى الأحداث في الأمة الإسلامية مدًّا وجزراً وصعودًا وهبوطًا بين تقمص أحد المنهجين؛ (**الإفراط أو التفريط**)، ومن الصعب بمكان حصر كل الجماعات والحركات على اختلافها وتنوعها في ثنايا هذا البحث، ولذلك سنكتفي بذكر أهم الجماعات التي تؤثرُ بشكل مباشر على البيئة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في ليبيا بعد 17 فبراير 2011م، وهي على النحو الآتي:

الجماعة الإسـْلاميَّة المقاتلة: Islamic Fighting Group

تعتبر "الجماعة الإسـْلاميَّة المقاتلة" من أهم وأقوى التنظيمات الليبية ذات التوجه الإسلامي التي استوحت أفكارها من أدبياته الأولى بأفكار الشيخ عبد الله عزام، ومدرسة سيد قطب، وقد تأسست الجماعة في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي على يد الشيخ محمد البشتي أحد أهم المنظرين لها في ليبيا[1].[2].

ومن أشهر أعضاء الجماعة الليبية المقاتلة: عبد الحكيم الخويلدي بلحاج، وكان يُكنَّى بـ: أبي عبد الله الصادق، وهو أمير الجماعة ايام النظام السّابق، ونسبت إليه قيادة ثوار طرابلس أيام ثورة 17 فبراير، ومنهم أيضا: سامي الساعدي وكنيته: أبو المنذر، ويعتبر أبو المنذر المرجع الديني والشرعي للجماعة، ومنهم أيضاً: نائب أمير الجماعة وهو: خالد الشريف، وهو المكنى: بأبي حازم، وغيرهم....، وجدير بالذكر أن نعرف أن هذه الجماعة كانت لها مُراجعات أيام حكم القذافي، فرضها عليهم التعامل مع فقه الواقع، ونضج أفراد الجماعة واستيعابها لحال الأمة، وحاجتهم على التجديد الفكري والمنهجي، وقد ضُمن ذلك في كتاب أخرجته الجماعة في السجن، عنونت له بعنوان: "**دراسات تصحيحية في**

(1) الحركات الإسـْلاميَّة الحديثة في ليبيا: منطلقاتها، محمود الناكوع، ص12.

(2) الصحيح الذي يتناقله أعضاء الجماعة أن: البشتي لا يعتبر مؤسسا لهذه الجماعة، وإنما من المرجعيات الشرعية والفقهية الأولى التي كان يتأثر بها أعضاء الجماعة المؤسسون، ومن أهمهم: عوض الزواوي الذي يعتبر من أوائل المؤسسين للجماعة الجهادية في ليبيا، وتوفي في سجن بوسليم عام 1989م، حقيقة الجماعة الإسلامية المقاتلة، سامي الساعدي، ص4، وانظر: (الجماعات الإسلامية في ليبيا... الجذور والممارسات) عبد الله الشريف، https://www.alaraby.co.uk/opinion/2016/7/25/.

مفاهيم الجهاد والحسبة والحكم على الناس" وقد عرض على عدد من العلماء من داخل ليبيا وخارجها[1]، وتعتبر الجماعة في حكم المنتهية، واتجه بعض قادتها للعمل الأهلي والمؤسساتي بعيداً عن العمل المسلح[2].

الأفكار التي كانت تقوم عليها الجماعة الإسلامية المقاتلة:

1- اعتماد الخط السَّلفي في الاعتقادات والعبادات .

2- الاتجاه إلى العمل المسلَّح في السعي للتغيير للوصول إلى السلطة .

3- لم تحكم بكفر وردة أعيان النظام باعتبار عوارض الجهل والإكراه والتأويل[3].

4- جبهتها الأساسية **"ليبيا"** ولم تنخرط في الجبهات الخارجية، كالجبهة التي أنشأها الشيخ أسامه بن لادن في أفغانستان [4] .

5- أعلنت عن حلِّها واتجاهها للعمل المدني عن طريق انخراط أفرادها في مؤسسات المجتمع المدني فرادى .

أنصار الشريعة: Ansar al-Shari'a

يعتبر هذا التنظيم حديثًا إذا ما قورن بـ"الجماعة الإسْلاميَّة المقاتلة" ذلك لأن تنظيم "أنصار الشريعة" إنما أنشئ بعد ثورة 17 فبراير2011م، وقيل إن تأسيسه كان في شهر مايو من عام 2012 بعد إعلان التحرير بشهور، لكن أفكاره ومناهجه وجدت من قبل هذا التاريخ بكثير، ذلك أنَّ قادتها وأفرادها والمنتمون إليها في عمومهم متأثرون بفكرة الجهاد التي قادها الشيخ أسامة بن لادن، وإن كان أفراد هذه الجماعة لا ينتمون في عمومهم إلى تنظيمه المعروف بـ "القاعدة" ولكن الفكرة الأساسية في مفهوم الجهاد تكاد تكون مشتركة [5].

---

(1) دراسات تصحيحية في مفاهيم الجهاد والحسبة والحكم على الناس، تأليف قادة الجماعة الإسلامية المقاتلة، ص5 – 20 .

(2) حقيقة الجماعة الإسلامية المقاتلة، سامي الساعدي، ص6.

(3) ، نبذة عن أدبيات الجماعة ونهجها من كلام أتباعها، http://www.muslm.org/vb/showthread.php?356357، 2016/7/8م.

(4) المرجع السابق، http://www.muslm.org/vb/showthread.php?356357 ، 2016/7/8م .

(5) ليبيا (النبأ) لقاء مع قائد تشكيل مسلح مسمى بأنصار الشريعة في بنغازي محمد الزهاوي www.youtube.com/watch?v=bPwUtA5wR38 تاريخ الزيارة /29 /7 /2016م .

اتهمت هذه الجماعة بالقيام ببعض الأعمال الإرهابية والسعي لزعزعة النظام، الأمر الذي أدى إلى وضع التنظيم في قائمة التنظيمات الإرهابية بعد الهجوم المسلح في 11 أيلول/ سبتمبر 2012 على القنصلية الأميركية في بنغازي شرق ليبيا – والذي يعتبرُ عملاً مرفوضاً ومستهجناً عند عامة الليبيين– إلاَّ أنَّ قادتها يؤكدون أنَّ هدفهم الأسمى هو إقامة شرع الله، وأنْ لا علاقة لهم بهذه الأعمال[1].

ومن أشهر قادة الجماعة في الشرق الليبي في بنغازي: محمد الزهاوي، محمد الترهوني، و في سرت[2]وليد الفرجاني، وعلي الصفراني وغيرهم، وقد توفيَّ معظم قادتها في بنغازي وسرت .

والليبيون ينظرون لهذا التنظيم بعين الريبة والشكِّ، لاتهامهم بالولاء لتنظيم القاعدة، وإن أنكر بعض أفراد التنظيم ذلك، وأيضا؛ فإنَّ بعض الليبيين يعتقد أنَّ "الأنصار" يتعاطفون مع ما يعرف بتنظيم الدولة، بل إنَّ منهم من انضمَّ لهذا التنظيم بالفعل، وهذا ما ألّـــب عليهم الرأي العام في ليبيا، خاصةً وأنَّ هناك من يتهمهم بأنَّهم وراء عمليات الاغتيال التي حدثت في بنغازي قبل انطلاق ما عرف بعملية الكرامة، وبطبيعة الحال فإن التنظيم تبرأ من كل هذه الاتهامات [3].

أهم الثوابت والأفكار التي تقوم عليها جماعة أنصار الشريعة :

1–السير في العقيدة والمنهج وفق الكتاب والسنَّة وعلى ما هو معتمدٌ في التيار السَّلفي عمومًا .

2–يرون أنَّ مبدأ تطبيق الشريعة هو الأساس الذي تقوم عليه دعوتهم ومن لم يحتكم إليها فهو كافرٌ[4] .

3–مشروعية العمل المسلَّح كأحد الوسائل المهمَّة لتطبيق الشريعة .

---

(1) لقاء خاص مع لجنة المصالحة ومحمد الزهاوي، برئاسة عميد بلدية أجدابيا، بتاريخ: 2014/1/20م .

(2) وهذا قبل إعلان تنظيم الدولة مدينة سرت إمارةً لتنظيمه، وضمَّ إليها المناطق الشرقية القريبة : كـ" هراوة، النوفلية، بن جواد " وحاول أن يضمَّ بعض أجزاء من المناطق الغربية، كـ"الوشكة، والهيشة، وبواقرين" لكن انطلاق عملية" البنيان المرصوص" التي قادتها كتائب من مدينة مصراته الصمود ، تساندها كتائب من غرب البلاد من زليتن والخمس وطرابلس والزاوية وغريان وغيرها من المناطق، للقضاء على هذا التنظيم المتطرف .

(3) المقابلة التلفزيونية مع الزهاوي أجرتها معه قناة النبأ، انظر: www.youtube.com/watch?v=bPwUtA5wR38

(4) لقاء خاص مع لجنة المصالحة والزهاوي ، والمقابلة التلفزيونية سالفة الذكر، انظر: www.youtube.com/watch?v=bPwUtA5wR38 .

4-لا يرى أفراد الجماعة غضاضةً في الانتقال إلى الأعمال الخيرية، محبذين الوصول إلى هدفهم بتطبيق شرع الله عن طريق الوسائل السلمية[1] .

تنظيم الدولة : ISIL

لقد نشأ هذا التنظيم في ليبيا على غرار نشأته في سوريا والعراق وإعلان زعيم التنظيم أبوبكر البغدادي دولة الخلافة في يونيو/ حزيران عام 2014، ومن هنا؛ استوردت إلى ليبيا نفس الأفكار والأيدلوجيات، ومع غياب الدولة وانتشار السلاح واستعداد التيارات الجهادية الأخرى للانضمام إليه لتشابهٍ في الأفكار والغاياتِ، وفد انخرطت جماعاتٌ من الشباب الليبي في هذا التنظيم، لكن قادته والمتنفذين فيه كان معظمهم من خارج ليبيا، فقد كان الأمير من البحرين، ويدعى: تركي البنغي وعمره 30 سنة[2].

تمركز هذا التنظيم وتقوى نفوذه في مدينتي سرت ودرنة اللتان أثخن فيهما وأخذ الناس بقوة السلاح وأقام الإعدامات بحجة إقامة الحدود، وزعم أصحابه أنهم لدين الله ينصرون ومن أجله يعضبون، بينما النتيجة التي حدثت عكسيَّةٌ تماماً حيث أدخل الرعب على قلوب الناس بإظهاره مشاهد القتل المروعة بقطع الرؤوس في الميادين .

قُضِي على التنظيم في درنة بانتفاضة شعبيَّة بالتعاون مع بعض المسلحين من الثوار المعروفين بـ" كتيبة بو اسليم"، أما التنظيم قي سرت فقد كان أكثر قوة وعتاداً ففرَّ السكان من سرت بعد اطلاق الحكومة لـ"عملية البنيان المرصوص" بالتعاون مع التحالف الدولي، وبهذا تم القضاء على التنظيم، إلا قلة هربت إلى الصحراء .

---

(1) لقاء جمعنا ببعض قادة الجماعة، حيث كنت في وفد مكون من عدة أعيان ومشايخ وأساتذة جامعات انطلقنا بحملة محاولين فيها الإصلاح بين الأطراف المتنازعة في بنغازي وكانت بإشراف وزارة الأوقاف، والمجلس المحلي بنغازي، وبمشاركة من المجلس المحلي أجدابيا، وكان من ضمن المشاركين في هذه الجهود: الشيخ: مفتاح الفرجاني، والشيخ: موسى المصدور، والأستاذ: سالم المغربي، وبرئاسة معالي وزير الأوقاف المكلف في ذلك الوقت الأستاذ: عبد الله العقيلي بتاريخ 2014/3/20.

((2)) الدولة الإسلامية: القصة الكاملة جيم موبر، 27 / أبريل / نيسان 2016، BBCالعربي،
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2016/04/160427_islamic_state_group_full_story،
وانظر من هو منظر تنظيم الدولة في ليبيا، الخليج الإسلاميون، 12 / فبراير / 2015 .http://islamion.com/news

السلفيون: Salafis

كان لانتشار العقيدة السلفية الصحيحة أثرٌ كبيرٌ في انضمام كثير من الشباب المتعطش للعلم الشرعي الذي حرم منه أيام القذافي، فكان الإقبال على الدروس واقتناء الأشرطة الدينية القادمة من أرض الحجاز سمةٌ بارزة عند جيل الثمانينيات والتسعينيات المتدين، وكان لفتاوى هيئة كبار العلماء أثرٌ في نفوسهم، والسَّلفيون المنتمون لهذا النوع من السَّلفيَّة في ليبيا؛ تيار عريض أسهم في تنميته عدة عوامل، منها:

أن المنهج السلفي ينطلق من قواعد ثابته، وكذلك العاطفة الجياشة التي يحملها كثير من الشباب المتديِّن لما يأتي من بلاد الحرمين، وتأثر الشباب المنتمين لهذا التيَّار بفتاوى هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية [1].

وينضم إلى ذلك الدعم الحكومي الذي تقدمة المملكة العربية السعودية للتيار السَّلفي، وتسهيل التحاقهم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتزايد المنح الدراسية التي تصرف للطلبة الوافدين والمقيمين[2].

ويبقى العامل الأهم، وهو: موافقة هذا النهج لطبيعة المجتمع الليبي المتدين بطبعه، والذي يميل للموادعة والمسالمة.

الإخوان المسلمون في ليبيا: Brotherhood in Libya

وصلت حركة الإخوان المسلمين إلى ليبيا على يد ثلاثة من الشبان المصريين وهم: عز الدين إبراهيم، محمود الشربيني، جلال سعدة، الذين احتضنهم الملك ادريس السنوسي وكان أميراً لولاية برقة في ذلك الوقت، وقد رفض تسليمهم إلى الحكومة المصرية، ووافق على إقامتهم في ليبيا وفي بنغازي تحديدا، وكان ذلك بعد أحداث 1949م التي اتهم فيها الإخوان بقتل محمود فهمي النقراشي باشا وزير الداخلية للحكومة المصرية آنذاك[3]، وانضم عدد من الشباب الليبي إلى الجماعة[4].

---

(1) سالم رحيل، العقيدة السَّلفيَّة والأشعرية في العصر الحديث مقارنة نقدية بين البوطي والعثيمين، رسالة دكتوراه، ص175 .

(2) محمد العقلا، مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، صحيفة عكاظ، العدد 3156، 6/فبراير 2010م، وانظر: جهود المملكة في الدعوة إلى الله في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، ص27 .

(3) الحركات الإسْلاميَّة الحديثة في ليبيا، محمد الناكوع، /5، وانظر: التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، إبراهيم فتحي عميش، 273/1..

(4) الحركات الإسْلاميَّة الحديثة في ليبيا، محمد الناكوع، ص5.

تأثرت بفكر الإخوان العديد من الشخصيات الليبية، وساهم في تقوية حركة الإخوان في ليبيا عدة عوامل منها ما يلي:

وجود عدد من الأساتذة والعلماء في ليبيا، بعد الفرار من مصر نتيجة الصدام الدامي الذي دار بين الإخوان وجمال عبد الناصر، وكذلك وصول عدد من الطلاب الذين كانوا يدروسون بالخارج حاملين معهم فكر الإخوان[1]، وأيضاً؛ الأميَّة وحالة الفراغ الديني التي كان يعيشها الليبيون بعد الاستعمار الإيطالي، ولا يخفى طبيعة الفكرة الإخوانية التي تستوعب الجميع، فهي كما يقول مؤسسها الإمام حسن البنا: "نحن جماعة روحية؛ وعقيدة سلفية، وحقيقة صوفية، وشركة تجارية، وهيئة سياسية، وفرقة رياضية ..." الخ[2].

ومن القادة المشهورين في جماعة الإخوان الليبية بشير عبد السلام الكبتي وهو رئيس الجماعة الأسبق، في ليبيا، استلم بعده رئاسة الجماعة الشيخ: أحمد السوقي، العضو البارز في الجماعة ، ومن الأعضاء البارزين أيضًا؛ سالم بوحنك، والشيخ عبد الله البهيجي، والشيخ عطية زوبي، والشيخ سالم الشيخي، ويونس الزلاوي وغيرهم[3].

المطلب الثاني: عرض موضوعي لبدايات النزاع والشقاق:

بعد إعلان التحرير من قبل المجلس الوطني، وانتقال الحكومة إلى العاصمة طرابلس، انقسم الثوار إلى فريقين، طائفة عريضة من الثوار الحقيقيين الذين كانوا في ساحات القتال رجعوا إلى أعمالهم وتركوا السلاح، في حين أن شريحة كبيرة من الذين التحقوا أخيرًا أصروا على الاستمرار في حمل السلاح بعيدًا عن الانخراط في الأجهزة الحكومية الرسمية (الجيش & الشرطة)' وطائفة عريضة من هؤلاء ممَّن سمُّوا بالدروع لاحقًـا، رغبوا في الالتحاق بأحد الأجهزة المعتمدة في الدولة لكن طلبهم قوبل بالتسويف[4] .

(1) التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، أبراهيم فتحي عميش، 273/1..
(2) محمد شوقي زكي، الإخوان المسلمون والمجتمع المصري، ص18 .
(3) جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا بعد 17 فبراير، أحمد السوقي، ص2 .
(4) لقاء خاص مع زياد بلعم آمر سريَّة مالك، انظر: زياد بلعم حاولنا للجيش رفضونا فيديوا بعد شهر من بداية الكرامة، https://www.youtube.com/watch?v=WhryAwCbrdA، اللقاء: 2014/6/1م.

غير أنَّ الدعاوى التي ظهرت بين بعض الشباب الذين تأثروا بالآراء التكفيرية دعتهم إلى تكفير المنخرطين في الجيش والشرطة، وكل من يرى الولاء للدولة، حتى إن منهم من كفَّر أعضاء المؤتمر الوطني وكفَّر من يواليهم، بحجَّة أنَّهم يتحاكمون لغير شرع الله[1].

قامت جماعة من أنصار الشريعة ببنغازي بعرض عسكري رفعوا في الرايات السوداء التي تنسب لتنظيم القاعدة، مما زاد من قلق المواطنين، وزاد الاحتقان أيضًا مع مقتل السفير الأمريكي الذي اتهمت به الجماعة، وتفشي ظاهرة الاغتيالات أمام سمع وبصر أنصار الشريعة الذين كانت لهم السيطرة في بنغازي[2]،

انطلقت عملية الكرامة وكان هدفها المعلن تحرير بنغازي من الإرهاب، واعتبرت كلَّ من لم ينضمَّ إلى الجيش بقيادته العامة– الموشير: خليفة حفتر– يعد إرهابيًّا يجب التخلص منه، ولم يستثنَ من هذا التحذير أحدٌ من الإسلاميين، إلا السَّلفيين الذين وقفوا إلى جانب الجيش الذي يقوده حفتر .

كانت عامة الحركات الإسلامية في داخل البلاد ضد عمليَّة الكرامة، وأعداد كبيرة من الثوار وخاصَّة في المنطقة الغربية لم ترحب بهذه العمليّة، ومدن كبيرة كـ" طرابلس ومصراته وزليتن والزاوية وغريان... وغيرها " لم توافق على هذا الطرح وعارضته بشدّةٍ، زد على هذا الدمار الذي حلَّ بمناطق في بنغازي كـ .(الصابري، وسوق الحوت والليثي، وغيرها).

جماعات إسلامية مختلفة ومتعددة التوجهات كما سبقت الإشارة إليها، كانت كلها تقاتل جنباً إلى جنب ضدَّ نظام القذافي، ومعهم عوام الشباب الذين تتقلَّبُ أفكارهم ورغباتهم وفق المصالح، زد علَى هذا الجماعة السَّلفيَّة أو التيار السَّلفي المنتمي إلى الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، وشبابه الذين كانوا ينادون بلزوم البيوت أثناء قتال القذافي، ثم تغيرت آراؤهم بعد صدور فتوى الشيخ اللحيدان عضو هيئة كبار العلماء، وبيَّن أنّهم– أي هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية – قالوا بكفر القذافي منذ زمن [3]، فانقسموا– أي السَّلفيَّة– إلى فريقين:

---

(1) لقاء خاص بلجنة المصالحة مع المنتسبين لأنصار الشريعة في سرت، روايات رئيس الوفد الشيخ موسى المصدور، تاريخ اللقاء، 2014/5/15 .

(2) محمود البرعصي، عضو مجلس أنصار الشريعة يكفر الصاعقة والحكومة الليبية والمؤتمر الوطني بالمرتدة الكافرة، https://www.youtube.com/watch?v=8CfbVJx7gsw .

(3) بيان من الرئاسة العامة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد حول ما دار مع العقيد معمر القذافي حول إنكاره للسنة النبوية كمصدر للتشريع كما تناقلتها الصحف والأنباء، مجلة البحوث الإسلامية مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

- طائفة رأت اتباع فتوى الشيخ اللحيدان وشكَّلت سرايا تقاتل جنبًا إلى جنبٍ مع الثوار.
- جماعة أخرى من السَّلفيين اختاروا لزوم البيوت على اعتبار أن ما يجري فتنةٌ يجب اجتنابها .

كان هذا في بدايات 17 فبراير، ولكن الأمر اختلف لدى كثيرٍ من المنتسبين لهذه الجماعة "السَّلفيَّة" بعد أحداث "فجر ليبيا والكرامة" ، حيث رأى السَّلفيون أن الجهة التي تمثِّل وليَّ الأمر الشرعي الذي تجب طاعته ونصرته هي: البرلمان في مدينة طبرق، وتمثله القيادة العامة، "حفتر ومن معه" ، ودار الصراع بين كل من الثوار وبمثلهم " المؤتمر الوطني، ودار الإفتاء، والإخوان المسلمون، وعوام الثوار ، ومن التقى معهم في الهدف كـ "أنصار الشريعة" وكل من له توجُّهٌ يتعارض مع مشروع الكرامة" حيث رأوا أنَّ هذه العمليَّة تشكِّل مؤامرةً على ثورة 17 فبراير، وفي الجهة المقابلة السَّلفيون ومن معهم من المحاربين من الضباط القدامى في الجيش والشرطة الذين رحَّبُـــوا بعملية الكرامة، ووقف معهم كلُّ المتضررين من ثورة 17 فبراير، وأيضًا شباب الأحياء الذين اعتقدوا أنَّ في هذه العملية خلاصهم من الإسلاميين المتشدِّدين- على حدِّ وصفهم- والذين اتهموهم بالاغتيالات[1] .

أولاً: التحالفات التي نشأت بين بعض الجماعات:

نظراً لاختلاف التوجهات وتقاطع المصالح بين كل هذه الجماعات، برزت تحالفات جديدة جمعت بعض الأطراف مع بعض، وهاجمت بعض الجماعات الأطراف المناوئة والمعادية لها بغض النظر عن الاتفاق في الأصول والعقائد، وبالعكس أظهرت الموادعة للمتحالفين معها وإن كانوا يخالفونها في بعض الأدبيات والمنهجيات التي تؤمن بها وتوالي وتعادي من أجلها، ونشأ ما يمكن أن نسمية: **"بالكراهية الوجوديّة"**، وصارت القناعة السائدة أنَّ المخالف عدوٌّ تجب

والدعوة والإرشاد معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 263/5، وانظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله ، دار القاسم للنشر، الطبعة الأولى، 1420هـ، 187/9، وانظر: بيان هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية بشأن القذافي، الرياض 22 جمادى الأولى 1402هـ، انظر: الألوكة المجلس العلمي، د. سعد بن عبد الله الحميد، د. خالد بن عبد الرحمن الجريس، http://majles.alukah.net/t77102/

(1) أحمد خليفة، مقال بعنوان: كتيبة السَّلفية المقاتلة في صفوف ولي الأمر حفتر، 2016/1/26م، http://alasr.ws/articles/view/17102/ ، وانظر أحمد صلاح: (حفتر والسلفية..)، مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط، http://www.achariricenter.org/haftar and salafism ar/ .

إزالته من الوجود وإن كان موافقًا متَّبعًا في الأصول والفروع، ولم يسمح لصوت العقل أن يتدخَّل، وفشلتْ محاولات الإصلاح في التقريب بين الإخوة رغم المشتركات المنهجيَّة الكثيرة التي تجمعهم، والأصول التي يتوافق عليها الجميع .

التحالف بين المؤتمر والثوار والإخوان:

رأى الثوار أنَّ الجسم السياسيَّ الذي يمثلهم هو المؤتمر الوطني، وشاركهم في هذا كلُّ أصحاب التوجهات الإسلاميَّة المعتدلة الذين يعتقدون أن عمليَّة الكرامة ما هي إلا التفاف على ثورة 17 فبراير، وزاد من هذه القناعات حجم الدَّمار الكبير الذي حلَّ بمدينة بنغازي، وأعداد القتلى التي فاقت 9.000، والجرحى21.000[1]، والمهجَّرين الذين بلغوا مئات الآلاف، وكانت الفتاوى التي تصدُر عن دار الإفتاء ومركز البحوث، العامل الرئيس في تثبيت هذا الفريق وزيادة حماسه واندفاعه نحو الحرب، وكل هذه التحالفات قائمةً في الأساس على القتال ضدَّ "قادة عملية الكرامة، ومن دار في فلكهم " وأهم القوى الرافضة لعمليَّة الكرامة وأهدافها، هي:

- المؤتمر الوطني العام .
- حكومة الإنقاذ .
- دار الإفتاء ومجلس البحوث الإسلامية .
- الإخوان المسلمون ومن حسب عليهم كالأعضاء السابقين في الجماعة الإسلامية المقاتلة .
- المعتدلون من أنصار الشريعة الذين يرون بولاية المؤتمر الوطني ولم يقولوا بتكفير الجيش أو الشرطة .
- عوام الثوار والنشطاء السياسيين والإعلاميين والمثقفين وعدد من أساتذة الجامعات، وكل الذين تقاطعوا مع فكرة رجوع الدكتاتورية العسكرية وهيمنتها على نظام الحكم في ليبيا .

(1) أخبار ليبيا، وكالة أنباء التضامن، تذكر أنه: أكد مصدر مسؤول بلجنة الصحة في البرلمان المنعقد في طبرق أن عدد القتلى منذ إعلان عملية الكرامة يوم 2014/5/16 إلى 2016/2/23 وصل إلى (9352) قتيل، بينما وصل عدد الجرحى (21537) جريح، وقال المصدر الذي فضل عدم ذكر اسمه، اليوم الاثنين لوكالة أنباء التضامن أن القتلى من المدنيين (7630)، والقتلى من العسكريين (1722)، 2016/2/29م، انظر: http://www.akhbarlibya.net/libya news/29070.html

التحالف بين البرلمان والسَّلفيين:

اعترف السَّلفيون بالبرلمان، واعتبروه وليَّ الأمر الذي تجب طاعته[1]، ومعلومٌ أنَّ هذا يقتضي التزامهم بقرارات البرلمان التي تعتبر – الفريق: خليفة بلقاسم حفتر– قائدًا عامًّا للجيش الليبي، وقد عرفنا فيما سبق أنَّ عددًا كبيرًا من السَّلفيين يتقاطعون مع الإخوان المسلمين، بل وكلُّ من ليس سلفيًّا من الجماعات الإسلاميَّة السنيَّةِ الأخرى، ويتهمونهم بأنهم مخالفون، وأنَّهم خوارج يجب قتالهم والتنكيل بهم .

وهذه التحالفات كانت بين كلٍّ من:

1- البرلمان الذي اختار أن يمارس عمله من طبرق .

2- القائد العام للجيش " الفريق: خليفة حفتر" .

3- عددٌ غفيرٌ من الضباط القدامى في الجيش والشرطة– من المنطقة الشرقيَّة– والبحث الجنائي، والأمن الداخلي.

4- التيار السَّلفي الذي اعتبر البرلمان ولي أمر الدولة الليبية ويقاتل جنبًا إلى جنب مع الجيش الذي يدين بالولاء لحفتر[2].

5- شباب المناطق والأحياء[3] .

نتائج كارثية لهذا النزاع والشقاق:

لقد أدى وللأسف الشديد هذا النزاع والشقاق إلى عواقب وخيمة وجرائم يندى لها جبين المسلم، وتطرح تساؤلات عريضة عن حكم الانضمام لهذه الجماعات وتأييدها والقبول بها في أمة الإسلام .

---

(1) انظر: أحمد عيسى حرسه الله ، وتنبيه وتوضيح واستدراك أبو عبد الرحمن المكي، في الرد على الشيخ عابد الشمري، 27/ذو القعدة /1435هـ، وانظر: http://bayenahsalaf.com/vb/showthread.php?t=22156

(2) شباب السَّلفيَّة جنبا إلى جنب مع الجيش الليبي، https://www.youtube.com/watch?v=zUV_bycCCdM .

(3) النازلة الليبية توضيح لها وبيان حقيقتها باختصار، منتديات العلمية منابر النور، المشرف العام: أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي، 2014/8/31م، أنظر: http://m noor.com/showthread.php?t=16007، وانظر: الجيش الليبي ينعي آمر كتيبة التوحيد، بنغازي بوابة الوسط: سالم العبيدي | الاثنين 9 فبراير 2015، http://www.alwasat.ly/ar/news/libya/60535/#sthash.idttvDsf.dpuf

إن المتتبع للنتائج الكارثية التي وصل إليها نزاع الأحزاب والجماعات الإسلامية في ليبيا يقف على قصص مروعة من القتل والتشريد، سببها الرئيسي الاختلاف المنهجي والانتماء الفكري، وحجم النزاع والصراع لا يقارن أبداً بالصراع بين الأحزاب السياسية، أي أن التطرف الديني لهذه الجماعات تطور بها بعيداً عن طور الاختلاف إلى الرغبة في إقصاء الآخر ومحيه من الوجود، والأمثلة على هذا كثيرةٌ لا حصر لها، نذكر منها:

لم يكن متوقعًا أن تدبَّ الفرقة والشقاق بين الجماعات الإسلامية في ليبيا، كونهم ينتمون جميعاً لعقيدة أهل السنة والجماعة، لكن الاختلافات السياسيَّة، والأجندات الخارجيَّة وتقاطع المصالح، انعكس سلبًا على روح الأخوَّة التي كانوا يتمتعون بها، حيث نشأ تباعدٌ في الرؤى ووجهات النَّظر تبعه تباغضٌ وتحاسدٌ، لكن الأدْهى والأمـَرُّ ما ترتَّب على هذا التباين والاختلاف من إقصاءٍ وإبعاد للآخر، بل وقتله وتشريده، فكيف احتدم الصراع والنزاع إلى هذا الحد الفظيع الذي انهارت إزاءه كل المنظومات الدينية والاجتماعية والأخلاقية، ولماذا كل هذا الحقد بين الأشقاء المسلمين الذين كانوا رفقاء ثورة 17 فبراير .

ولا يخفى على أحدٍ أن من أصول الدعوة الإسلامية الحث على الرفق والتسامح، ونبذ العنف والتطرف، وتتجلى معاني الصفح والعفو والتسامح في الإسلام بالحث على معاملة الناس حتى المخطئيين منهم بالحسنى، قال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف/199].

المبحث الثالث: الرجوع إلى المنهج الوسطي

بالنظر إلى طبيعة الصراع القائم بين الجماعات الإسلامية في ليبيا، وما ترتبت عليه من نتائج وخيمة على هذا القطر المسلم، يتحتَّم على العلماء المسلمين حث الفرقاء جميعاً على الرجوع إلى المنهج الوسطي والذي هو بحق يمثل الإسلام بصورته المشرقة التي أضاءت على البشرية منذ أربعة عشر قرناً، إضاءاتٍ كانت في الحفاظ على الحياة البشرية ورعاية مصالحها وإصلاح أمور معاشها ومعادها، وهي المقاصد الثابتة للشريعة الإسلامية، الحفاظ على (الدين والنفس والعقل والمال والنسل)، ومن هنا يمكن أن نخلص إلى نقاط أساسية لو ترسمتها الجماعات الإسلامية لانتهت النزاعات بينها، وهي:

المطلب الأول: يجب مراعاتها:

1- جعل المرجعية الأولى والأخيرة في الحفاظ على النفس البشرية في كتاب الله وسنة ورسوله، وعدم الاحتكام للآراء والأهواء، فما ضرَّ الأمة وما أبعدها عن دينها إلا كثرة الآراء التي لا تستند إلى دليل من كتاب وسنة .

ولأن الحفاظ على الأمن البشري ورعاية كل نفس وحمايتها "مسلمةً أو غير مسلمة" غاية سامية أصيلة في دين الإسلام، فكيف يكون الحال بين المسلمين، قال الله تعالى: ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [المائدة /32] ، وقال تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ**﴾ [الأنعام /151].

ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم القتل ممقوتا في دين الإسلام، وأنه أول وأعظم معصية عصي الله بها منذ العهد الأول للبشرية، قال عليه الصلاة والسلام: " لا تقتل نفس ظلما! إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل"[1] .

إذاً لا يجوز قتل النفس البشرية لمجرد الاختلاف الفكري أو الأيدلوجي .

2- الوقوف على كتاب الله والرجوع إليه في حرمة المال، ينبغي لهذه الجماعات الإسلامية في ليبيا وفي غيرها من الدول الإسلامية أن تعي جيداً؛ أنه لا مسوغ شرعي لنهب المال، سواء كان عاماً أم خاصاً، وعليهم أن يبتعدوا عن التأويلات الفاسدة للنصوص القرآنية، وأن لا يحملوها ما لا تطيق، قال الله تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة/188].

والسُّنة أوضحت أن هذا المال سواء كان قليلاً أم كثيراً، مال مسلم أم غير مسلم، متفق معك فكرياً أو لا، المهم أنه ليس لك الحق فيه؛ فلا يجوز لك أن تأخذه، ومن هنا رأينا كيف نبه النبي- صلى الله عليه وسلم- أصحابه إلى أنَّهم لا يجوز لهم أن يأخذوا هذا المال إذا اختصموا لديه وحكم لأحدهم على الآخر، فهذا لا يعني أنه مباح له، بل يجب على المحكوم له أن يحكم ضميره وأن يعمل عقله، هل يجوز له أو لا يجوز له؟

قال رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا إنما أنا بَشَر، وإنما يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من نار، فَلْيَحْمِلْهَا، أو ليذَرْهَا"[1].

(1) صحيح البخاري/6867 .

المطلب الثاني: رأي الشَّرع في بعض شبه المتعصبين لتبرير العنف:

اتخذ المتشددون في الإسلام بغير حق؛ من بعض المسائل والنصوص المتشابهة- التي لا يفهمها كل الناس- ذريعة لتبرير عنفهم ضدَّ من خالفهم، زاعمين أنهم بذلك إنما ينتصرون لحرمات الدين، ويعلون راية الحق، ومن هذه المسائل على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- أخذهم بظاهر النصوص كما فعل الخوارج في تفسيرهم لهذه الآية: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ**﴾[الأنعام /55]، وحملهم فهم العقيم على حمل مدلول الآية على تكفير سيدنا عليٍّ- رضي الله عنه- ومن معه بزعمهم تحكيم رجلين في أمر المسلمين، وقدر رد عليهم ابن عباس- رضي الله عنهما- في الحادثة المشهورة عند أهل السير والتاريخ(2)، فهم يكفرون بظاهر النصوص دون الجمع بينها وبين النصوص الأخرى التي تفسرها أو تؤولها إذا حملت عليها، حتى لا يكون هناك تعارض، وهذه قاعدة يفهمها أهل الأصول، في حال وجود نصين ظاهرهما التعارض فإنه يجمع بينهما بأحد طرق الجمع، بتأويل أحد النصين، فهم يحملون بعض الآيات التي نزلت في الكفار على المسلمين، ويجعلونها دليلاً على كفر بعض المسلمين، وهذا منهج عرف من قبل تقمصه الخوارج الحرورية ومن نحا نحوهم، لذلك كان ابن عمر – رضي الله عنهما- يراهم شرار خلق الله، وقال : إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت فى الكفار ، فجعلوها على المؤمنين(3) .

2- استدلالهم بقول الله تعال: ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾ [نوح/ 26-27]، فهم يحكمون بكفر الآباء أولاً، ثم وضعوا لازما وهو كفر الأبناء. في حين أن الشريعة الإسلامية تنهى عن قتل الأطفال والنساء في الحروب فضلا عن قتلهم بمجرد اللوازم(4) .

معلوم أنَّ منهج الاستدلال عند هؤلاء المتطرفين منهج فاسدٌ، ومخالفٌ لصريح النصوص، ففي صحيح مسلم عن بريدة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم: "إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته

---

(1) صحيح البخاري /2458 ، 6967. وصحيح مسلم /1713.

(2) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. الذهبي، 589/3 .

(3) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، 583/8 .

(4) (الخوارج هم العدو فاحذروهم)، سعيد بن سالم الدرمكي. أنظر: http://www.baynoona.net/ar/article/181

بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا"[1] .

ومن سيرة الصحابة رضوان الله عليهم يتبين لنا مدى تعظيمهم لحرمة النفس البشرية والحفاظ على أرواح الأبرياء، وصيانة سمعة الإسلام والمسلمين في هذا الجانب، حتى في المواقف الصعبة، فعلى سبيل المثال حادثة أسر خبيب- رضي الله عنه- تبين لنا أخلاق أصحاب رسول الله- عليه الصلاة والسلام- حيث لم يكونوا يرون بقتل أطفال الكفار، ولم يستسيغوا ذلك ويتقبلوه، وقد ذكرها البخاري في صحيحه من حديث أبي هرير- رضي الله عنه- وفيه: "فانطلق بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبا وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده قالت ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟! ما كنت لأفعل ذلك، قالت والله ما رأيت أسيرا قط خيراً من خبيب"[2].

المطلب الثالث: الحلول من رحم الأزمة

عرفنا فيما سبق كيف دبَّ الخلاف بين الجماعات الإسلامية في ليبيا، وبدى واضحاً تغلب نزعة الأهواء وحب الذات والانتصار للنفس على الثوابت الدينيَّة بحفظ الأنفس والأموال ومراعات مصالح الناس، وهذا بلا ريب مخالف لثوابت دين الإسلام، ومناف لما معلومٌ من الدين ضرورة، والحل الصافي والدواء الشافي يكون بالرجوع إلى الإسلام الأول، وهو المنهج الوسطي الثابت الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، ويمكن تحقيق ذلك، أذا عرف الفرقاء المختلفون في ليبيا أنهم جميعاً أهل سنةٍ وجماعة، ولا توجد بينهم طوائف أوفرق تعتقد غير منهج السنة، فالجميع متفقون في العقيدة، ويمكن للجماعات المختلفة أن تتفق فيما بينها في مسائل الحكم، وذلك بالمرجعية التي ارتضاها الليبيون بالاحتكام إلى صناديق الاقتراع، وهي سنة الشورى الواضحة في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبما أن الجميع متفقون على كل الثوابت الدينية، فلماذا لا يتفق رؤساء كل المجموعات على نبذ العنف وجعل الحوار طريقاً وحيداً للتوافق وحل المشاكل فيما بينهم، هذا إذا علم الفرقاء المتنازعون أن الله تعالى حذّرنا من الوقوع فيما

(1) صحيح مسلم/1731 .
(2) صحيح البخاري/3989 .

وقعت فيه الأمم السابقة من فتنة التحزب والتفرق وإجاب كل ذي رأي برأيه، قال تعالى محذراً لنا من الوقوع في فتنة تفريق الدين والتحزب والتشطي فيه: ﴿**مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [الروم / 31 ، 32].

الخاتمة .

في ختام هذه الدراسة يتبين لنا مدى وسطية هذا الدين وكماله كونه ديناً يتماشى مع فطرة الإنسان، ويحافظ على ضرورات الحياة، كما يتبين لنا مدى فظاعة الأخطاء التي وقعت فيها الجماعات الإسلامية المتناحرة فيما بينها في ليبيا، وهذه الأخطاء لا تخص ليبيا فحسب، بل هي مغالطات في مفهوم هذه الجماعات لدين الإسلام، ولو فهمت هذه الجماعات فهماً عميقاً لمقتضيات الشريعة الإسلامية ومقاصدها؛ لما نشأت هذه الحروب فيما بينها، ولأعطوا مثلاً رائعاً لسماحة الإسلام وحفاظه على السلام والأمن ليس في بلاد المسلمين فحسب، بل في العالم بأسره .

كما يتبين لنا من خلال العرض الذي سردناه عن تكون الجماعات الإسلامية في ليبيا، أنَّ التكوين الفكري لهذه الجماعات كان دخيلاً على الليبيين ولم يكن متأصلاً في هذا المجتمع الذي ينتمي عامة أفراده إلى منهج السنة والجماعة، والناس في عمومهم على المذهب المالكي الذي يعد عمدة منهج السَّلف، إلا أن الحركات الإسلامية في ليبيا تأثرت بما يحدث في العالم الإسلامي مدًّا وجزراً، وكان للانفلات الأمني دورٌ كبيرٌ في جنوح بعض الجماعات إلى العنف طريقاً لتحقيق أهدافها.

كما عرفنا أن الطريق لحل هذه النزاعات يكون من خلال الرجوع إلى المنهج الصافي "في كتاب الله وسنة رسوله" الذي رسم للناس طريق خلاصهم في الدنيا والآخرة، وعرف للنفس البشريَّة حرمتها، وأمر بالحفاظ عليها، وحرَّم كلَّ ما يؤدي لإتلافها بغير حق.

التوصيات .

يمكن أن نخرج بتوصيات نافعة لعلها تسهم في الحد من هذا النزاع القائم بين الجماعات الإسلامية المختلفة في ليبيا على النحو الآتي:

1- حث الجماعات الإسلامية المختلفة على الحوار فيما بينها .

2- إقامة ندوات علمية يدعى إليها كبار العلماء والمنظرين للجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي، للخروج برؤية واضحة تجمع سائر الجماعات على كلمة سواء .

3- لعلَّ الطريق الأفضل لوحدة صفِّ كل هذه الجماعات؛ يكون بترشيح نقباء ينوبون عن كل جماعة، ويكون ذلك بالتنسيق مع الحكومة والمجالس البلديَّة، ويكون هذا المجلس معنيًّا بتوحيد الصف، وجمع كل الأطراف على طاولة الحوار.

4- يمكن للملكة العربية السعودية وهي التي تحظى بمكانة عالية بين المسلمين، وقد عرفنا أنَّ كثيراً من الأفكار والأيدلوجيات قد تأثرت بفتاوى هيئة كبار العلماء، فيمكن لها، ويمكن لهيئة كبار العلماء فيها أن يلعبوا دوراً كبيراً في توحيد هذه الجماعات وإشاعة التصالح والوئام فيما بينها .

قائمة المصادر والمراجع:

- **أولاً: القرآن الكريم .**
- **ثانياً: المصادر والمراجع العلمية:**

1-أسد الغابة، ابن الاثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ، 1994 م .

2-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة : الأولى 1422هـ .

3-الحركات الإسْلاميَّة الحديثة في ليبيا: منطلقاتها، قياداتها، تجاربها، مآلاتها، الناكوع، محمود الناكوع، دار الحكمة، لندن، 2010م.

4-التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، إبراهيم فتحي عميش، برنيق للطباعة والترجمة، الطبعة الأولى، 2008م .

5-العقيدة السَّلفيَّة والأشعرية في العصر الحديث مقارنة نقدية بين البوطي والعثيمين، رسالة دكتوراه، سالم رحيل، الأستاذ المشرف، ياسن: محمد ، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة Western Cape، جنوب أفريقيا، 2014م .

6-الأغاني، الأصفهاني: أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق : سمير جابر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية .

7-المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة .

8-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تحقيق- محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ .

9-تاج العروس من جواهر القاموس، الحسيني: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية .

10-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.، دار الكتاب العربي.لبنان بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م .

11- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: إسماعيل بن عمر، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1999م .

12- دراسات تصحيحية في مفاهيم الجهاد والحسبة والحكم على الناس، تأليف قادة الجماعة الإسلامية المقاتلة: (عبد الحكيم بالحاج، سامي الساعدي، عبد الوهاب قايد، مفتاح الذوادي، خالد الشريف، مصطفى اقنيفيد)، المنارة للإعلام، 2010م .

13- سنن ابن ماجه، القزويني، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

14- شرح صحيح البخارى لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة : الثانية، 2003م،.

15- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العلمية، بيروت

16- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، الألباني: محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي .

17- فيض القدير، المناوي، محمد عبد الرؤوف بن علي الحدادي ثم المناوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الاولى 1994م.

18- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، البرهان فوري، علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة .

19- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى .

المجلات والمقابلات ومواقع الانترنت:

20- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، محمد العقلا، مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، صحيفة عكاظ، العدد 3156، 6/فبراير 2010م .

21- تنظيم إسلامي جهادي أسسه من كان يطلق عليهم الأفغان الليبيون، http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties/2014/2/12 .

22- نبذة عن أدبيات الجماعة ونهجها من كلام أتباعها، http://www.muslm.org/vb/showthread.php?356357، 2016/7/8م.

23- بيان من الرئاسة العامة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد، مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 5

24- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز- رحمه الله- ، دار القاسم للنشر، الطبعة الأولى، 1420هـ، 187/9، وانظر: بيان هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية بشأن القذافي، الرياض 22 جمادى الأولى 1402هـ،

25- الألوكة- المجلس العلمي، د. سعد بن عبد الله الحميد، د. خالد بن عبد الرحمن الجريس، /http://majles.alukah.net/t77102

26-أحمد خليفة، مقال بعنوان: كتيبة السَّلفية المقاتلة في صفوف ولي الأمر حفتر، 2016/1/26م، http://alasr.me/articles/view/17102

27-كتيبة التوحيد السَّلفية: لا زلنا تحت قيادة حفتر، ليبيا بانوراما LPC ، 24 /8/ 2016م ، http://lpc.ly/tv / .

28-أخبار ليبيا، وكالة أنباء التضامن، انظر: http://www.akhbarlibya.net/libya-news/29070.html

29-أحمد عيسى حرسه الله ، (وتنبيه وتوضيح واستدراك أبو عبد الرحمن المكي، في الرد على الشيخ عابد الشمري)، 27/ذو القعدة /1435هـ، وانظر: http://bayenahsalaf.com/vb/showthread.php?t=22156

30-(النازلة الليبية توضيح لها وبيان حقيقتها باختصار)، منتديات العلمية منابر النور، المشرف العام: أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي، 2014/8/31م، http://m-noor.com/showthread.php?t=16007،

31- (الجيش الليبي ينعي آمر كتيبة التوحيد، بنغازي) بوابة الوسط: سالم العبيدي، الاثنين 9 فبراير 2015. http://www.alwasat.ly/ar/news/libya/60535/#sthash.idttvDsf.dpuf

32-(حفتر والسلفية اللعبة الخطرة)، أحمد صلاح: ، مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط، 6 / يونيو 2017 . /http://www.achariricenter.org/haftar-and-salafism-ar

33-(الخوارج هم العدو فاحذروهم)، سعيد بن سالم الدرمكي، شبكة بينونة للعلوم الشرعية، 11- جمادى 1438هـ . http://www.baynoona.net/ar/article/18

34- (الجماعات الإسلامية في ليبيا... الجذور والممارسات) عبد الله الشريف ، https://www.alaraby.co.uk/opinion/2016/7/25/

35-،-("الدولة الإسلامية": القصة الكاملة) جيم موبر، 27 / أبريل / 2016، BBC العربي، http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2016/04/160427_islamic_state_group_full_story

36- من هو منظر تنظيم الدولة في ليبيا، الخليج اون لاين نبض الخليج العربي، الإربعاء 26 يونيو2017، http://alkhaleejonline.net/articles

37- حقيقة نشأة الجماعة الإسلامية المقاتلة، سامي الساعدي، 13 – 10 – 2017م .

38- مؤتمر المصالحة معالي وزير الأوقاف المكلف في ذلك الوقت الأستاذ: عبد الله العقيلي بتاريخ 2014/3/20 .

39- لقاء خاص للجنة المصالحة مع المنتسبين لأنصار الشريعة في سرت، تاريخ اللقاء، 2014/5/15 .

40- جماعة الإخوان في ليبيا بعد 17 فبراير، أحمد السوقي، مذكرات خاصة، لم تطبع، تاريخ الاطلاع عليها: 10 / 1/ 2016م .

41- زياد بلعم .. حاولنا الانضمام للجيش رفضونا هذا الفيديو بعد شهر من بداية الكرامة، لقاء خاص زياد بلعم آمر سريَّة مالك، 2014/6/1م. ،https://www.youtube.com/watch?v=WhryAwCbrdA

42- شباب السَّلفيَّة جنبا إلى جنب مع الجيش الليبي، 7 / 12/ 2016م https://www.youtube.com/watch?v=zUV_bycCCdM

43- محمود البرعصي، عضو مجلس أنصار الشريعة يكفر الصاعقة والحكومة الليبية والمؤتمر الوطني بالمرتدة الكافرة، 26 / 7 / 2016م https://www.youtube.com/watch?v=8CfbVJx7gsw .

44- المقابلة التلفزيونية لقناة النبأ مع قائد تنظيم جماعة انصار الشريعة بليبيا، لقاء مع قائد تشكيل مسلح مسمى بأنصار الشريعة في بنغازي محمد الزهاوي، انظر: www.youtube.com/watch?v=bPwUtA5wR38 تاريخ الزيارة/2016/7/29م.